الفصل الخامس

البحث في الجمل

وقد تناول البحث البلاغي في تفسير الكشاف الجمل المتتابعة كما تناول المفرد والجملة الواحدة .

ولم يكن بحث الفصل والوصل وحده هو مظهر خروج البحث البلاغي من نطاق الجملة الواحدة . بل هناك محاولات كثيرة لدراسة الجمل والفقرات في علم البلاغة . منها بحث الفواصل القرآنية وملاءمتها لمضامين الآيات ، ومنها دراسة المعاني وملاءمة بعضها لبعض ، ومنها بحث اختصار القصص ، ومنها بحث التكرار الذي يمثل مذهبًا بارزًا في أسلوب القرآن ، ومنها بحث الاعتراض من حيث كمه ومن حيث مواقعه وفوائده ، ومنها ما نلحظه في تحليل النصوص تحليلاً خاصًّا بإبراز مواطن القوة والتأثير في الآيات المتتابعة إلى غير ذلك مما نستعين الله على توضيحه في هذا البحث .

الفصل والوصل :

وليس مرادي فيه ما حدده عبد القاهر وغيره من خصوص الجمل التي لا محل لها من الإعراب وخصوص الواو من بين سائر حروف العطف ، وإنما أردت عطف الجمل مطلقًا بالواو وغيرها ما دام في هذا العطف أوعدمه سر بلاغي يشير إليه الزمخشري .

ويلفتنا الزمخشري إلى أن الفصل وصل تقديري خفي وأنه أقوى من الوصل الظاهر بحروف العطف وأن التنبه إلى هذا الوصل الخفي باب دقيق من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه .

يقول في قوله تعالى : ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ﴾ (هود:٩٣) : « فإن قلت : أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في «سوف تعلمون» ؟ قلت : إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ، ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر ، كأنهم قالوا : فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا ، وعملت أنت ، فقال : ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب . وأقوى الوصلين ، وأبلغهما الاستئناف ، وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه »[1] .

والواو تقع بين الجملتين لتفصل بين معنييهما فتكون كل واحدة ذات معنى مستقل عن الآخر ومتميز عنه ، فإذا تكررت الجملتان في مقام آخر وسقطت هذه الواو كان الكلام كلامًا واحدًا يقرر بعضه بعضًا .

يقول في قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ (الشعراء:١٨٥،١٨٦) : « فإن قلت : هل اختلف المعنى بإدخال الواو هنا ، وتركها في قصة ثمود ؟ قلت : إذا أدخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم . التسحير والبشرية ، وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحرًا ، ولا يجوز أن يكون بشرًا ، وإذا تركت فلم يقصد إلا معنى واحد وهو كونه مسحرًا ، ثم قرر بكونه بشرًا مثلهم »[2] .

والواو في المقاولات تشير أيضًا إلى التميز بين المعنيين ليوازن السامع بينهما ويدرك ما في كل من الصواب والخطأ ، فإذا سقطت الواو كان الكلام على الاستئناف ، وهو كلام واحد يتولد بعضه من بعض .

---

(١) الكشاف ٢/٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٢) المرجع السابق ٣/٢٦٢ .

يقول في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (القصص:٣٦،٣٧) :

« وقرأ ابن كثير :« قال موسى » بغير واو على ما في مصاحف أهل مكة وهي قراءة حسنة لأن الموضع موضع سؤال وبحث عما أجابهم به موسى عليه السلام عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحراً مفترى ، ووجه الأخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى عليه السلام هذا ، ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد أحدهما ، وصحة الآخر وبضدها تتميز الأشياء »[1] .

ويتابع الزمخشري الآية الواحدة التي تتكرر في سور مختلفة مقترنة بالعاطف مرة وخالية منه مرة أخرى ويفسر في هذه المتابعة ما وراء الواو من دقائق . يقول : « فإن قلت : في سورة البقرة « يذبحون » وفي الأعراف « يقتلون » وههنا « يذبحون » مع الواو فما الفرق ؟ قلت : الفرق أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيراً للعذاب وبياناً له ، وحيث أثبت جعل التذبيح لأنه أوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر »[2].

وينظر في الآيات التي يتكرر فيها نص معين في السورة الواحدة وهذا النص يختلف نوع حرف الوصل فيه فيفسر اختلاف هذا الحرف ، ولماذا جاء بالواو مرة وبالفاء أخرى ؟ كما يقول في سورة هود وفيها قصص الأنبياء عليهم السلام ويتكرر فيها قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ (هود:٥٨) ويلحظ أن هذه الآية تكررت في أربع مواطن (من آية ٥٨ إلى آية ٩٤) وقد جاءت بالواو مرتين وبالفاء مرتين ، وقال في هذا : « فإن قلت : ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو ، والساقتان الوسيطان بالفاء ؟ قلت : وقعت الوسطيان

---

(١) الكشاف ٣/٣٢٤ .

(٢) المرجع السابق ٢/٢٣٢ .

بعد ذكر الموعد وذلك قوله : ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ﴾ (هود:٨١) ، ﴿ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ (هود:٦٥) فجيء بالفاء الذي هو السبب كما تقول : وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت ، وأما الأخيرتان فلم تقع بتلك المثابة ، وإنما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة »[1] .

وقد يكون سقوط العاطف تخييلا باستقلال الجمل في معانيها كما قلنا ولتكون كل واحدة منها كأنها كافية في الغرض المسوق له الكلام .

يقول في قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ (الرحمن:١-٦) : « الرحمن : مبتدأ وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة ، وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد ، كما تقول : زيد أغناك بعد فقر ، أعزك بعد ذل ، كثرك بعد قلة ، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد ، فما تنكر من إحسانه ؟! فإن قلت : كيف أخل بالعاطف في الجمل الأول ثم جيء به بعد ؟ قلت : بكت بتلك الجمل الأول واردة على سنن التهديد ليكون كل واحدة من تلك الجمل مستقلة في تقريع الذين أنكروا الرحمن وآلاءه ، كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته ، ثم رد الكلام إلى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف »[2] .

ويذكر الزمخشري أن الجمل التي يقرر بعضها بعضًا تتناسق من داخلها ويأخذ بعضها بعنق بعض ، وهذا التناسق الداخلي أقوى في ترابطها من ذكر حرف النسق ، ولذلك كان اعتباره أدخل في البلاغة من غيره ، وفي ترتيب هذا النوع من الجمل وبناء بعضه على بعض ما يبين منه قوة الكلام وجودة بلاغته .

---

(١) الكشاف ٣٣٢/٢ .

(٢) المرجع السابق ٣٥٣/٤ .

يقول في قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة:١،٢) :

« والذي هو أرسخ عرقًا في البلاغة أن يضرب عن هذه المحال صفحًا وأن يقال : إن قوله « آلم » جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها و﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ جملة ثانية ، و﴿ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾ جملة ثالثة ، و﴿ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ رابعة ، وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة ، وموجب حسن النظم ، حتى جيء بها متناسقة هكذا من غير نسق ، وذلك لمجيئها متآخية آخذًا بعضها بعنق بعض ، فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة ، بيان ذلك أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به ، ثم أشير بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرًا لجهة التحدي وشدا من أعضاده ، ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلاً بكماله ، لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ، ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة ، وقيل لبعض العلماء : فيم لذتك ؟ فقال : في حجة تتبختر اتضاحًا ، وفي شبهة تتضاءل افتضاحًا ، ثم أخبر عنه بأنه ﴿ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ فقرر بذلك كونه يقينًا لا يحوم الشك حوله ، وحقًّا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم لم تخل كل واحدة من الأربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق ونظمت هذا النظم السوي من نكتة ذات جزالة »[1] .

والجمل التي تتوارد على سبيل البيان لا حاجة فيها إلى ذكر لفظ يدل على الربط لأنها ما دامت كذلك فهي شيء واحد ، أو هي كما يتصور الزمخشري « جسم واحد ، فإذا داخلها حرف نسق كان غريبًا وشاذًّا في هذا الجسم » .

يقول : « فإن قلت : كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير عطف ؟ قلت : ما منها جملة إلا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه . والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب : بين العصا

---

(١) الكشاف ٢٩/١ .

ولحائها ، فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق ، وكونه مهيمنًا عليه ، غير ساه عنه ، والثانية لكونه مالكًا لما يدبره ، والثالثة لكبرياء شأنه ، والرابعة لإحاطته بأحوال خلقه ، وعلمه بالمرتضى منه ، المستوجب للشفاعة ، وغير المرتضى ، والخامسة لسعة علمه ، وتعلقه بالمعلومات كلها ، أو لجلاله وعظم قدره »[1] .

وقد يلحظ الزمخشري في الاستئناف قوة وفخامة حين يكون هذا الاستئناف ردًّا لكلام سابق ووعيدًا للذاهب إليه كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ (البقرة:١٤،١٥) يقول : « فإن قلت : كيف ابتدئ قوله ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ، ولم يعطف على الكلام قبله ؟ قلت : هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة ، وفيه أن الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء ، ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ، ويحل بهم من الهوان والذل ، وفيه أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم ، انتقامًا للمؤمنين ، ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله »[2] ..

وقد ينطوي هذا النوع من الاستئناف على شيء من التعجيب فيزيد الأسلوب حسنًا وقوة تأثير ، يقول في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ (الفرقان:٢١) : « واللام جواب قسم محذوف ، وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية ، وفي أسلوبها قول القائل :

وجارةِ جسَّاسٍ أَبانَا بَنابها ... كُلَيبًا غَلَتْ نابٌ كُلَيْبٌ بَواؤُها

وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب ، ألا ترى أن المعنى : « ما أشد استكبارهم ، وما أكبر عتوهم ، وما أغلى نابا بواؤها كليب »[3] .

---

(١) الكشاف ٢٢/١ .
(٢) المرجع السابق ٥/١ .
(٣) المرجع السابق ٢١٥/٣ ، ٢١٦ .

ثم إن هذا الاستئناف قد يكون تعليلاً للكلام السابق وفي هذا التعليل توكيد له وتقرير ، ويكون هذا النوع تارة بإعادة اسم من استؤنف عنه الحديث ، وتارة بإعادة صفته ، يقول في قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ ﴾(البقرة:١-٥):﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى ﴾ الجملة في محل الرفع إن كان ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ مبتدأ ، وإلا فلا محل له .. ونظم الكلام على الوجهين أنك إذا نويت الابتداء بـ ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ ، فقد ذهبت به مذهب الاستئناف ، وذلك أنه لما قيل ﴿ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ ، واختص المتقون بأن الكتاب لهم هدى ، اتجه لسائل أن يسأل فيقول : ما بال المتقين مخصوصين بذلك ؟ ، فوقع قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ إلى ساقته كأنه جواب لهذا السؤال المقدر ، وجيء بصفة المتقين المنطوية على خصائصهم التي استوجبوا بها من الله أن يلطف بهم ، ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم ، أي الذين هؤلاء عقائدهم وأعمالهم أحقاء بأن يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ، ونظيره قولك : أحب رسول الله ﷺ الأنصار ، الذين قارعوا دونه ، وكشفوا الكرب عن وجهه ، أولئك أهل للمحبة . وإن جعلته تابعًا لـ «المتقين» وقع الاستئناف على «أولئك» كأنه قيل : ما بال المستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى؟ فأجيب : بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلاً ، وبالفلاح آجلاً ، واعلم أن هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة بإعادة اسم من استؤنف عنه الحديث ، كقولك : قد أحسنت إلى زيد زيد حقيق بالإحسان ، وتارة بإعادة صفته ، كقولك أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك ، فيكون الاستئناف بإعادة الصفة أحسن وأبلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه»[1] .

---

(١) الكشاف ١/٣٤ .

والزمخشري قد يفسر فائدة الاستئناف تفسيراً اعتزاليًّا يخضع فيه خصوصية التركيب لمعتقده ، والنص بعيد عما ذهب إليه من المعنى .

يقول في قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران:١٨،١٩) : « وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران:١٩) جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى ، فإن قلت : ما فائدة هذا التوكيد ؟ قلت : فائدته أن قوله : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ توحيد ، وقوله : ﴿ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ تعديل ، « فإذا أردفه قوله : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ فقد آذن أن الإسلام هو العدل والتوحيد . وهو الدين عند الله ، وما عداه فليس عنده في شيء من الدين . وفيه أن من ذهب إلى تشبيه أو ما يؤدي إليه ، كإجازة الرؤية ، أو ذهب إلى الجبر الذي هو محض الجور ، لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام . وهذا بين جلي كما ترى »[1] .

وهذا تعسف لا يقتضيه النظم كما يقول الشيخ عليان[2] ولست أدري كيف يذيَّلُ كلامه : « وهذا بيان جلي كما ترى » .

الجامع :

ويرى الزمخشري أن حرف العطف يستلزم أن يكون بين الجملتين قدر من الاتفاق يصحح الربط بينهما ، ولكنه لا يكون اتفاقًا قويًّا حتى يصل إلى اتحاد الجملتين في المعنى أو نشوء إحداهما عن الأخرى ، ولذلك وقع الفصل بين قصة الذين كفروا والحديث عن الكتاب الذي لا ريب فيه .

يقول في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة:٦) : « فإن قلت : لم قطعت قصة الكفار عن قصة

---

(١) الكشاف ٢٦٤/١ ، ٢٦٥ .

(٢) تنظر : حاشية الشيخ عليان على هامش الكشاف ٢٦٤/١ .

المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ (الانفطار:١٣،١٤) وغيره من الآي الكثيرة ؟ قلت : ليس وزان هاتين وزان ما ذكرت . لأن الأولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب . وأنه ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . وسيقت الثانية لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت . فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب . وهما على حد لا مجال فيه للعاطف . فإن قلت : «هذا إذا زعمت أن ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ﴾ جار على ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ فأما إذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر في صفة أضدادهم كان مثل ذلك الآي المتلوة ؟ قلت : قد مر لي أن الكلام المبتدأ عقيب «المتقين» سبيله سبيل الاستئناف ، وأنه مبني على تقدير سؤال ، فذلك إدراج له في حكم المتقين . وتابع له في المعنى . وإن كان مبتد في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه»[1] .

ويؤكد ضرورة الجامع أو التناسب بين الجملتين وأنه ليس هناك عاطف بين الجمل المتصلة غاية الاتصال . وليس هناك عطف كذلك بين الجمل المنفصلة غاية الانفصال ، وإنما هو في الجمل التي تتوسط بين الغايتين كما قال المتأخرون ، وهذه الفكرة هي التي دار حولها درس الفصل والوصل عند المتأخرين .

يقول الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة:٥) : «فإن قلت : لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ (الأعراف:١٧٩) قلت : قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة ، فإنهما متفقان ، لأن التسجيل عليهم بالغفلة ، وتشبيههم بالبهائم شيء واحد ، فكانت الجملة الثانية مقررة لمعاني الأولى فهي من العطف بمعزل»[2] .

---

(١) الكشاف ٣٦/١ .

(٢) المرجع السابق ٣٥/١ .

ويبحث التناسب بين أجزاء الجمل المتعاطفة وقد يكون التناسب بالتقابل وقد يكون بعيداً وفيه شيء من الخفاء يقول في قوله تعالى : ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ (الرحمن:٥،٦) : « فإن قلت : أي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف ؟ قلت : إن الشمس والقمر سماويان . والنجم والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل ، وأن السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين ، وإن جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله فهو مناسب لسجود الشمس والقمر »[1] .

وليس من اللازم أن تتناسب الجملتان خبراً وإنشاء فقد يعطف الإنشاء على الخبر إذا لم يكن المعتمد بالعطف هي الألفاظ . وإنما مضمون الجملة . يقول في قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ (البقرة:٢٤،٢٥) : « فإن قلت : علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهي يصح عطف عليه ؟ قلت : ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر ونهي يعطف عليه ، إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين ، كما تقول : زيد يعاقب بالقيد والإرهاق ، وبشر عمراً بالعفو والإطلاق »[2] .

وقد أشار الخطيب إلى أن في هذا الكلام نظراً لا يخفى على المتأمل . ثم رأى أن يكون « وبشر » معطوفًا على مقدر أي : أنذرهم وبشر . ولست أجد لهذا التقدير ذلك المذاق الذي أجده لتحليل الزمخشري كما لا أجد مذاقًا لتقدير السكاكي أن العطف على « قل » مقدراً قبل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ والزمخشري يشير في هذا إلى عطف القصة على القصة وأنه يكتفي في مثله

---

(١) الكشاف ٣/٣٥٣ .

(٢) المرجع السابق ١/٧٨ .

بالتناسب بين القصتين ولا ينظر فيه إلى التناسب بين الألفاظ وقد أطفئت مثل هذه القبسات في بلاغة الزمخشري كما رأينا عند الشيخين وعطف القصة على القصة من أجل مباحث الفصل والوصل وأحد المعاقد الأساسية في بناء الكلام.

الفواصل القرآنية :

ويلتفت الزمخشري إلى الفواصل القرآنية ويبين وجه الملاءمة بين مدلولها ومدلول الآيات السابقة ، وله في هذه اللفتات نفاذ إلى المعاني . وبيان لأجناسها . يقول في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ** ﴾ (البقرة:١١-١٣) : « فإن قلت : فلم فصلت هذه الآية بـ﴿ **لَّا يَعْلَمُونَ** ﴾ والتي قبلها بـ ﴿ **لَّا يَشْعُرُونَ** ﴾ ؟ قلت : لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة . وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدي إلى الفتنة والفساد في الأرض فأمر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصًا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائمًا بينهم من التغاور والتناصر والتحارب والتجاذب فهو كالمحسوس المشاهد . ولأنه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقًا »[1].

ويلتفت إلى فواصل الآيات التي تشير إلى آثار قدرة الله في هذا الكون . ويبين في ذكاء كيف تكون الفاصلة مشيرة إشارة واعية إلى مدى دلالة هذه الآثار . فتسلسل الإنسانية من نفس واحدة أدق صنعة وألطف تدبيرًا من تسخير النجوم للاهتداء بها في ظلمات البر والبحر . لذلك كانت فاصلة آية النجوم بـ« يعلمون » وفاصلة آية النشأة بـ « يفقهون » والفقه أدق من العلم .

---

(١) الكشاف ٤٩/١ .

يقول في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنعام:٩٧،٩٨) : «فإن قلت : لم قيل «يعلمون» مع ذكر النجوم و«يفقهون» مع ذكر إنشاء بني آدم ؟ قلت : كان إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيراً فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقًا له»[(١)] .

ويقول في قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (النحل:١٠-١٢) : وقال : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ فجمع الآية وذكر العقل لأن الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة ، وأبين شهادة لكبرياء العظمة»[(٢)] .

وقد تكون الفاصلة غير مطابقة لسياق الآيات مطابقة تامة في الظاهر فيكشف الزمخشري هذه الملاءمة .

يقول في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان:٦) : «فإن قلت : كيف طابق قوله : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ هذا المعنى ؟ قلت : لما كان ما تقدم في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على العقوبة ، أو هو تنبيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبًّا ، ولكن صرف ذلك عنهم أنه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل»[(٣)].

---

(١) الكشاف ٣٩/٢ .
(٢) المرجع السابق ٤٦٥/٢ .
(٣) المرجع السابق ٢٠٩/٣ .

ويلحظ الزمخشري أن القرآن قد يعدل عن لفظ إلى لفظ مراعاة لحق الفاصلة إذ أن الفواصل القرآنية في سور كثيرة يتحد نغمها الصوتي ، وفي وحدة النغم هذه تأثير يبلغ مداه في نفس قارئه وسامعه ولا ضير إذا قلنا إن القرآن يراعي الفاصلة فيبدل في كلمة أو يضع مكانها أخرى لأن هذا ليس أمراً لفظيًّا هينًا كما فهمه بعض البلاغيين ، وقليل منهم تنبه إلى قيمة الأثر الصوتي أو الأثر الموسيقي في التأثير والإيحاء وظل أكثرهم يفهم أن شئون اللفظ لا تعدو أن تكون محسنات سطحية لا تتصل بجوهر البلاغة .

وليس من الخطأ في الدين ولا في البلاغة أن تقول : إن القرآن يهتم بالناحية اللفظية لأنها جزء من أسلوبه ولأنها من دواعي التأثير ، وتلك وظيفة القرآن فالغرض منه أولا هو قيادة النفس الإنسانية إلى سبيل الخير فمن الحتم أن يأخذ كل سبيل إلى هذه الغاية فلا يهمل هذا الجانب المهم في بلاغته ، والزمخشري من قلة من البلاغيين يرون هذا الرأي ، لذلك يفسر بعض الخصائص القرآنية تفسيراً مبنيًّا على اهتمامه بالناحية الصوتية .

يقول في قوله تعالى : ﴿ **وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً** ﴾ (المزمل:٨) : « وانقطع إليه ، فإن قلت : كيف قيل « تبتيلا » مكان « تبتلا » ؟ قلت : لأن معنى « تبتل » بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل »[١] .

ويقول في قوله تعالى : ﴿ **رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلاَ۠** ﴾ (الأحزاب:٦٧) : « وزيادة الألف لإطلاق الصوت ، جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر ، وفائدتها الوقوف والدلالة على أن الكلام قد انقطع وأن ما بعده مستأنف »[٢] .

الالتفات :

ويدرك الزمخشري أن إيقاظ النفس وتحريكها من أهم أغراض الكلام ، ولذلك كانت كل خصوصية من خصائص الصياغة تحدث لونًا من التأثير

---

(١) الكشاف ٥١٢/٤ .

(٢) المرجع السابق ٤٤٤/٤ .

والإيقاظ هي خصوصية بلاغية ممتازة يحرص عليها المتكلم الأديب ، ويدرك الزمخشري أن الالتفات في الأسلوب كأنه ضربة على أوتارالنفس يزيدها تنبهًا وإيقاظًا أو هزًّا وتحريكًا كما يقول ، وله في هذا تحليلات جيدة .

والبلاغيون قد درسوا هذا الباب وتنبهوا له منذ زمن بعيد والواقع أنه لم ينبه أحد إلى قيمته البلاغية بالطريقة المفصلة الواضحة التي درسه بها الزمخشري . وجرت كتب المتأخرين على دراسة مذهبين في الالتفات ، مذهب الجمهور ، ومذهب السكاكي . والواقع أن المذهب المنسوب إلى السكاكي هو طريقة الزمخشري وارتضاها السكاكي وسار عليها[1] .

يقول الزمخشري مبينًا أن الالتفات هو مخالفة ظاهر الحال ولو كان ابتداء كلام كما هو المذهب المنسوب إلى أبي يعقوب : « فإن قلت : لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب ؟ ـ يعني قوله تعالى : ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ (الفاتحة:٤،٥) قلت : هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب . ومن الخطاب إلى الغيبة . ومن الغيبة إلى التكلم . كقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ (يونس:٢٢) وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ ﴾ (فاطر:٩) وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات :

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بالأَثْمدِ ... وَبَاتَ الخَلِيُّ ولم تَرْقُدِ

وبَاتَ وباتَتْ لَهُ لَيَلَةً ... كليلة ذي العائِرِ الأَرْمَدِ

وذلك من نبأٍ جاءني ... وخُبِّرْتُهُ عن أَبي الأَسْوَدِ

---

(١) ينظر : المفتاح ص ١٠٦ وبغية الإيضاح ١٥١/١ وما بعدها وننبه هنا إلى أن السكاكي لم يضع تعريفًا محددًا للالتفات وإنما ذكر أن النقل من الخطاب إلى الغيبة لا يختص بالسداد إليه ولا بهذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر ويسمى هذا التفاتًا وقد ذكر الخطيب أن هذا المذهب يفهم من تفسير السكاكي .

وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه . ولأن الكلام إذ نقل من أسلوب إلى أسلوب كان أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد ، وقد تختص مواقعه بفوائد . ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات. فخوطب ذلك المعلوم بتلك الصفات . فقيل : إياك من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه . ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به» (الكشاف ١/١١) .

ونسمع هنا حديث التطرية لنشاط السامع والإيقاظ للإصغاء إليه وهذه الصفات من أهم خصائص الأسلوب الأدبي . ومن أهم ما يعول عليه في البلاغ والتأثير .

ويعود الزمخشري فيبين أثر طريقة الالتفات في نفس السامع وأن هذا الأسلوب يهز من طبعه ويحرك حسه وهو لهذا فن من الكلام جزل .

يقول في قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ ﴾ (البقرة:١،٢) إلى قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ (البقرة:٢١) . لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين ، والكفار ، والمنافقين ، وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم ، وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ، ويشقيها ، ويحظيها عند الله ، ويرديها ، أقبل عليهم بالخطاب . وهو من الالتفات المذكور عند قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ (الفاتحة:٥). وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع . كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكيًا عن ثالث لكما : إن فلانًا من قصته كيت وكيت ، فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت : يا فلان من حقك أن تلزم الطريقة الحميدة في مجاري أمورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك وموارداك ، نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه . واستدعيت إصغاءه إرشادك زيادة استدعاء ،

وأوجدته بالالتفات من الغيبة إلى المواجهة هازًّا من طبعه ما لا يجده إذا استمررت على لفظ الغيبة . وهكذا الافتنان في الحديث والخروج منه من صنف إلى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الأنفس للقبول»[1].

وهذا شرح للقيمة البلاغية لهذا الأسلوب يعتمد على النفس ومعرفة أحوالها.

وإذا كان الالتفات إلى الغيبة أدرك الزمخشري منه معنى التشهير والنداء حتى كأن المتكلم بهذا الالتفات يخيل أنه يحكي هذا الأمر المهم ويرويه لكل عاقل ليستنكره ويستقبحه .

يقول في قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم ﴾(يونس:٢٢): «فإن قلت : ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة ؟ قلت : المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعى منهم الإنكار والتقبيح»[2].

ويقول في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة:١٦٩،١٧٠) : «لهم : الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم ، لأنه لا ضالة أضل من المقلد ، كأنه يقول للعقلاء : انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون»[3].

والانصراف إلى الغيبة قد يكون في مقام المدح والثناء أمدح وأعظم ثناء وكأن المتكلم يروي الأمر للآخرين تعجبًا واستعظامًا .

يقول في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ﴾ (الروم:٣٩) : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ﴾ التفات حسن كأنه قال لملائكته وخواص خلقه : فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون ، فهو أمدح لهم من أن يقول : فأنتم المضعفون»[4].

---

(١) الكشاف ٦٧/١ .
(٢) المرجع السابق ٢٦٦/٢ .
(٣) المرجع السابق ١٦٠/١ .
(٤) المرجع السابق ٣٧٩/٣ .

وقد يعدل المتكلم إلى الخطاب تخييلاً بالإقبال على المخاطب ومواجهته بزيادة اللوم والإنكار ، يقول في قوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ (عبس:١-٣) : «وفي الإخبار عما فرط منه ثم الإقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الإنكار ، كمن يشكو إلى الناس جانيًا جنى عليه ثم يقبل على الجاني إذا حمى في الشكاية مواجهًا له بالتوبيخ وإلزام الحجة»[1] .

ومن أحسن ما قاله في قيمة هذا النوع من الالتفات قوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ (الشعراء:١٠،١١) : «وأما من قرأ : «ألا تتقون» على الخطاب ، فعلى طريقة الالتفات إليهم ، أو جبههم وضرب وجوههم بالإنكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية إلى بعض أخصائه والجاني حاضر فإذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمى غضبه قطع مباثة صاحبه وأقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له : ألم تتق الله ، ألم تستح من الناس»[2] .

وقد يعدل المتكلم إلى الاسم الظاهر ليتمكن من إجراء صفات على هذا الاسم وفيه تفخيم للملتفت إليه . يقول في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ﴾ (الأعراف:١٥٨) :«فإن قلت : هلا قيل : فآمنوا بالله وبي ، بعد قوله : ﴿ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾؟ قلت : عدل عن المضمر إلى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه ، ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة . ويقول في قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾ (النساء:٦٤) : «ولم يقل : «واستغفرت لهم» وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيمًا لشأن

---

(١) الكشاف ٤/٥٦٠ .

(٢) المرجع السابق ٣/٢٣٧ .

رسول الله ﷺ ، وتعظيمًا لاستغفاره وتنبيهًا على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان»[1] .

التكرار :

والتكرار طريقة واضحة في أسلوب القرآن . وقد وقف الزمخشري عند كثير من صوره ليفسر أثره البلاغي في مواقعه المختلفة ، فقد أشار إلى التكرار في مقام الوعظ والنصيحة ، وفي مقام دفع الشبهة ، وفي القصص ، وفي مقام الوعيد ، وفي مواقف الكف والنهي ، وفي ذكر مظاهر القدرة ، وغير ذلك مما سنذكره ، وكانت المعاني التي لحظها الزمخشري في هذه الطريقة مستمدة من صلتها المباشرة بنفس السامع أو المتكلم .

يقول الزمخشري مبينًا فائدة التكرير في أسلوب النداء في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ (الحجرات:١)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ ﴾ (الحجرات:٢) : « إعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد ، وطريقة الإنصات لكل حكم نازل ، وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم ، وما أخذوا به . عند حضور مجلس رسول الله ﷺ من الأدب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم»[2] .

ويفسر تكرار النداء في سورة غافر مستوحيًا اللفظ المكرر وما له من أثر في استجابة النفس فيقول في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ ﴾ (غافر:٣٨،٣٩) ، ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ ﴾ (غافر:٤١) : « فإن قلت : لم كرر نداء قومه ؟ قلت : أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة ، وفيه أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه

---

(١) الكشاف ٤٠٨/١ .

(٢) المرجع السابق ٢٧٩/٤ .

خلاصهم ، ونصيحتهم عليه واجبة ، فهو يتحزن لهم ، ويتلطف بهم ، ويستدعي بذلك ألا يتهموه فإن سرورهم سروره ، وغمهم غمه ، وينزلوا على نصيحته لهم كما كرر إبراهيم عليه السلام في نصيحة أبيه : يا أبت»[1] .

ويبين الزمخشري أن دفع النفوس إلى الخير وانقيادها له من الأشياء الصعبة ، لذلك كان على الواعظين أن يصبروا على تكرار ما يعظون به ، تعهدًا لهذه النفوس وتتبعًا لها بالنصيحة ، حتى تنقاد إلى أمر الله ، وهذا هو السر في أن الله جعل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثاني .

يقول الزمخشري : «فإن قلت : ما فائدة التثنية والتكرير ؟ قلت : النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة ، فإن لم يكرر عليها عودًا على بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثَمَّ كانت عادة رسول الله ﷺ أن يكرر عليهم ما كان يعظ به ، وينصح ، ثلاث مرات ، وسبعًا ، ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم»[2] .

ويرى الزمخشري أن هناك من الحالات ما هو غريب على النفس وهي وإن كانت لا تنكره لأنه لا مجال فيه للإنكار إلا أنها محتاجة إلى مزيد من الاطمئنان والتقرير وهذا موطن من مواطن التكرير وغرض من أغراضه .

يقول في قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ** ﴾ (البقرة:١٤٩،١٥٠) : «وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده لأن النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان ، والحاجة إلى الفَصْلِ بينه وبين البداء ، فكرر عليهم لينبهوا ويعزموا ويجدُّوا»[3].

---

(١) الكشاف ١٣١/٤ .
(١) المرجع السابق ٩٥/٤ .
(٣) المرجع السابق ١٥٤/١ .

والتكرير في آيات الوعيد والتهديد متابعة للنفس وتجديد التذكير لها . يقول : « فإن قلت : ما فائدة تكرير قوله ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر:١٦،١٧) قلت : فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين إذكارًا واتعاظًا ، وأن يستأنفوا تنبهًا واستيقاظًا ، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث ، وأن يقرع لهم العصا مرات ، ويقعقع لهم الشَّن تارات ، لئلا يغلبهم السهو ، ولا تستولى عليهم الغفلة ، وهذا حكم التكرير كقوله : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن:١٣) عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن،وقوله:﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (المرسلات:١٥) آية أوردها في سورة المرسلات وكذلك تكرير الأنباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للأذهان مذكورة غير منسية في كل أوان »[1] .

ويشير الزمخشري إلى نوع من التكرير في القصص القرآني ـ أعني تكرير آية أو آيتين في كل قصة من قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم كما في سورة الشعراء ـ حيث تختم كل قصة بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الشعراء:٨،٩). . والزمخشري يفسر هذا اللون من التكرار بقوله : فإن قلت : كيف كرر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر ؟ قلت : كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها ، فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها ، وأن تختتم بما اختتمت به ، ولأن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس وتثبيتًا لها في الصدور ، ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها ، وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب ، وأرسخ في الفهم ، وأثبت للذكر ، وأبعد من النسيان ولأن هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الإنصات للحق وقلوب غفل عن تدبره فكوثرت

---

(١) الكشاف ٤/٢٤٩ .

بالوعظ والتذكير ، ورجعت بالترديد والتكرير ، لعل ذلك يفتح أذنًا ، أو يفتق ذهنًا ، أو يصقل عقلاً طال عهده ، أو يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدأ »[1] .

وقد تتكرر الجملة مع اختلاف في صياغتها وهذا تكرير حسن كما يقول الزمخشري لأن الاختلاف في الصياغة من عناصر القوة في التكرير ، يقول في قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۖ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ (ص:١٢-١٤) : « ولقد ذكر تكذيبهم أولا في الجملة الخبرية على وجه الإبهام ثم جاء بالجملة الاستئنافية فأوضحه فيها بأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل لأنهم إذا كذبوا واحدًا منهم فقد كذبوهم جميعًا ، وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستئنافية ثانيًا ، وما في الاستئنافية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص ، أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه »[2].

وهناك التكرير الذي يضاف فيه مع الكلام المكرر جملة جديدة ذات أهمية في المعنى ، وهذه طريقة العلماء فيما يكتبون ، لا يكررون الكلام إلا لفائدة ، يقول في قوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ﴾ (الأعراف:١٨٧) : « فإن قلت : لم يكرر « يسألونك » وإنما علمها عند الله ؟ قلت : للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله : ﴿ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ﴾ وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رحمهما الله »[3].

---

(١) الكشاف ٢٦٣/٣ .
(٢) المرجع السابق ٥٩/٤ .
(٣) المرجع السابق ٤٥/٢ .

الاعتراض

ويلتفت الزمخشري إلى الجملة أو الجمل المعترضة مبينًا مواقعها ، وقيمتها البلاغية ، وعلاقاتها بمعاني الكلام المعترضة فيه .

فقد تقع الجملة أو الجمل المعترضة في أثناء الكلام ، فتكون بين المبتدأ وخبره كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (الأعراف:٤٢) يقول : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ ﴾ جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد »[١] .

وقد يكون بين الفعل ومعموله كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (النساء:٧٣) يقول الزمخشري : ﴿ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ ﴾ اعتراض بين الفعل الذي هو « ليقولن » وبين مفعوله وهو « يا ليتني »[٢] .

ويقع بين البدل والمبدل منه كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٤١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ ﴾ (مريم:٤١،٤٢) يقول : « وهذه الجملة وقعت اعتراضًا بين المبدل منه وبدله أعني إبراهيم ، و« إذ قال » نحو قولك : رأيت زيدًا نعم الرجل أخاك »[٣] .

ويقوم بين القسم والمقسم عليه كما في قوله تعالى : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ (الواقعة:٧٥،٧٦) يقول : « وقوله : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ اعتراض في اعتراض لأنه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ واعتراض بـ « لو تعلمون » بين الموصوف وصفته »[٤] .

---

(١) الكشاف ٨٣/٢ .
(٢) المرجع السابق ٤١٣/١ .
(٣) المرجع السابق ٣٩٥/٢ .
(٤) المرجع السابق ٥٨/٢ .

وقد تقع جملة من الكلام معترضة في كلام آخر على سبيل الاستطراد كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ (لقمان:١٣،١٤) : « فإن قلت: هذا الكلام كيف وقع في أثناء وصية لقمان؟ قلت: هو كلام اعترض على سبيل الاستطراد تأكيداً لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك »[(١)].

وقد يقع الاعتراض في آخر الكلام وهذا مسلك الزمخشري وهو فيه مخالف لطريقة الجمهور يقول في قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ﴾ (البقرة:٢٥) : « فإن قلت : كيف موقع قوله ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ﴾ من نظم الكلام ؟ قلت : هو كقولك : فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل ، ورأى كذا وكان صواباً ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (النمل:٣٤) وما أشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير »[(٢)] .

وهذا النوع من الاعتراض يسميه البلاغيون تذييلاً ، يقول الشهاب نقلاً عن شرح الفاضل للكشاف في هذه الآية : « هذا على تجويز الاعتراض في آخر الكلام والأكثرون يسمونه تذييلاً والعلامة يجعل الاعتراض شاملاً للتذييل كما يعرفه من تتبع كلامه فلا يرد الاعتراض عليه بأنه لا شبهة أنه تذييل ، وهو أن يعقب الكلام بما يشمل معناه توكيداً ، ولا محل له من الإعراب ، ولا مشاحة في الاصطلاح »[(٣)] .

والشهاب يفسر آخر الكلام بتمامه وانقطاعه . كآخر السور والخطب والقصائد لا آخر الجمل المنقطعة عما بعدها ، وعليه يكون الاعتراض في قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (البقرة:١٩) اعتراض في وسط الكلام لا في آخره وبالقياس على هذا يكون الاعتراض في : ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ، منه .

---

(١) الكشاف ٣/٣٩٠ .
(٢) المرجع السابق ١/٨٣ .
(٣) حاشية الشهاب ٣/٣٩٠ .

أي من الاعتراض في وسط الكلام فلا يصح أن يكون المذكور في آية ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ دليلاً على مسلكه في الاعتراض كما ذهب الشارح العلامة ، وأنه يقع آخر الكلام ولكن المثالين المذكورين في كلامه يدلان دلالة واضحة على أن الاعتراض يكون في آخر الكلام .

والجمل الاعتراضية ـ كما يقول الزمخشري ـ لابد لها من الاتصال بالكلام الذي وقعت معترضة فيه لأنها مسوقة لتوكيده وتقريره ، يقول في قوله تعالى : ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ﴾ (الأنعام:١٤٣،١٤٤) : « فإن قلت : كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه ؟ قلت : قد وقع الفاصل بينهما اعتراضًا غير أجنبي من المعدود وذلك أن الله عز وجل مَنَّ على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم بإباحتها لهم ، فاعترض بالاحتجاج على من حرَّمها ، والاحتجاج على من حرَّمها تأكيد شديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق إلا للتوكيد »[1] .

ثم إنه قد أشار إلى هذا وبين أيضًا أن الاعتراض طريقة من طرق توكيد الكلام يقول في قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (النساء:١٢٥) : فإن قلت : ما وقع هذه الجملة ؟ قلت : هي جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم : والحوادث جمة ، فائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته لأن من بلغ الزلفى عند الله أن اتخذه خليلاً كان جديراً بأن تتبع ملته وطريقته »[2].

وإذا كانت الجملة أو الجمل المعترضة غير واضحة الصلة بالكلام المسوقة فيه عند النظرة الأولى وقف الزمخشري ليبين قوة صلتها بها وأنها مسوقة

---

(١) الكشاف ٥٨/٢ .

(٢) المرجع السابق ٩٤١/١ .

للتوكيد والتقرير ، يقول في قوله تعالى : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (العنكبوت:١٦-٢٠) : « وهذه الآية : ﴿ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ ﴾ والآيات التي بعدها إلى قوله : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ ﴾ محتملة أن تكون من جملة قول إبراهيم صلوات الله عليه لقومه . وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله ﷺ وشأن قريش بين أول قصة إبراهيم وآخرها ... فإن قلت : فإذا كانت خطابًا لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة إبراهيم والجمل الاعتراضية لابد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه ، ألا تراك لا تقول : مكة وزيد أبوه قائم خير بلاد الله ؟ قلت : إيراد قصة إبراهيم ليس إلا إرادة للتنفيس عن رسول الله ﷺ ، وأن تكون مسلاة له ومتفرجًا بأن أباه إبراهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما منى به من شرك قومه وعبادتهم الأوثان . فاعترض بقوله ﴿ وَإِن تُكَذِّبُواْ ﴾ على معنى : إنكم يا معشر قريش إن تكذبوا محمدًا فقد كذب إبراهيم وكل أمة نبيها لأن قوله : ﴿ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ﴾ (العنكبوت:١٨) لابد من تناوله لأمة إبراهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ، ثم سائر الآيات الواطئة عقبها من أذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده واصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه »[1] .

وقد أشرنا في كلامنا في النظم إلى كثير من المحاولات التي كان يهدف بها الزمخشري إلى كشف العلاقة بين الكلام المعترض وما وقع فيه معترضًا .

---

(١) الكشاف ٣/٣٥٢ ، ٣٥٣ .

الاختصار :

ذكرت في بحث الجملة ما يتعلق بالحذف في أحد أجزائها سواء أكان مبتدأ أو خبرًا أو مفعولاً . وذكرت كذلك حذف الجملة بتمامها . وأذكر هنا ما يتعلق بحذف جملة من الكلام حين يعمد المتكلم إلى طريقة الإيجاز فيطوي في أثناء كلامه كثيرًا من الجمل .

والزمخشري يشير إلى أن هناك مواطن تقتضي الإيجاز والاكتفاء بالإشارة والوحي . وأن هناك مواطن تحتاج إلى أن يفصل القول فيها تفصيلاً . وأن يشبع المتكلم الحديث إشباعًا . يقول في قوله تعالى : ﴿ **أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ** ﴾ (البقرة:١٩) : « ثم ثنى سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفًا لحالهم بعد كشف ، وإيضاحًا غب إيضاح ، وكما يجب على البليغ في مظان الإجمال والإيجاز أن يُجْمِلَ ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والإشباع أن يفصل ويشبع . أنشد الجاحظ :

يوُحُون بالخُطَب الطِّوال وتَارةً وَحْيَ المُلاحِظِ خيفة الرقباء

ومما ثنى من التمثيل في التنزيل قوله : ﴿ **وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَـٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ** ﴾ (فاطر:١٩-٢٢) . ألا ترى إلى ذي الرمة كيف صنع قصيدته :

أذَكَ أَم تمشٌ بالوَشْى ... أَذَاك أَم خَاضِبُ بالسِّيِّ مَرْتَعْة[١]

وينبه إلى المواطن التي يفصل القرآن فيها القول ويبسطه وينبه كذلك إلى غيره مما يوجز الحديث فيه ويطويه .

يقول في قوله تعالى : ﴿ **الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ** ﴾ (البقرة:١،٢) ـ إلى آخر آية (إحدى وعشرين) مبينًا ما في هذه الآيات من أغراض ثلاثة تناولت مواقف

---

(١) الكشاف ١/٥٩، ٦٠ .

الناس جميعًا من دين الله ، فتحدثت عن المتقين ثم الكافرين ثم المنافقين . ولقد اختلف البيان القرآني في هذه المواقف إيجازًا وإشباعًا .

يقول الزمخشري : «افتتح سبحانه بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم . ووافق سرهم علنهم . وفعلهم قولهم . ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرًا وباطنًا ، قلوبًا وألسنة ، ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، وأبطنوا خلاف ما أظهروا ، وهم الذين قال فيهم : ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ (النساء:١٤٣) وسماهم المنافقين . وكانوا أخبث الكفرة وأبغضهم إليه ، وأمقتهم عنده ، لأنهم خلطوا بالكفر تمويهًا وتدليسًا ، وبالشرك استهزاء وخداعًا ، ولذلك أنزل فيهم : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ ، ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية ، واستجهلهم ، واستهزأ بهم ، وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم ، وعمههم ، ودعاهم صما بكما عميًا ، وضرب لهم من الأمثال الشنيعة ، وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا ، كما تعطف الجملة على الجملة»[1] .

ويشير إلى طريقة القرآن في اختصار القصة وحذف أجزائها غير الأساسية . والنص منها على أهم المواقف فيها . يقول في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ (الفرقان:٣٥،٣٦) : «والمعنى : فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم . كقوله : ﴿ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ ﴾ (الشعراء:٦٣) أراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها أولها وآخرها لأنهما المقصود من القصة بطولها ، أعني إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التَّدْمِيرِ بتكذيبهم»[2] .

---

(١) الكشاف ٤٢/١ ، ٤٣ .

(٢) المرجع السابق ٢٢٠/٣ ، ٢٢١ .

ويكرر هذا في قوله تعالى : ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ﴾ (الشعراء:١٣) : « وهذا كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد أحسن الاختصار حيث قال : ﴿ فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ﴾ فجاء بما يتضمن الاستنباء . ومثله في تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ (الفرقان:٣٦) حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة أولها وآخرها وهما الإنذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو أنهم قوم كذبوا بآيات الله إلزام الحجة عليهم فبعث إليهم رسولين فكذبوهما فأهلكهم »[1].

ترتيب الجمل والآيات :

وقد اهتم الزمخشري ببيان الأسس التي سار عليها نسق الجمل وترتيبها في القرآن كما اهتم كذلك ببيان ترتيب الآيات . وهذا اللون من البحث جدير بالاهتمام والتوضيح وهو في صميمه نظر في المعاني وتتابعها وكيف يمهد سابقها للاحقها وهو أيضًا غير واضح في الدراسة البلاغية وإن كان متصلاً بصميمها .

والزمخشري لم يقف عند كل جملتين . ولا أشار إلى وجه الترتيب بين كل آيتين . وإنما كانت له وقفات عند كثير من الجمل والآيات المتتابعة . ينظر في معانيها . ووجه ترتيب بعضها على بعض ، وبين في هذا أن الجملة قد تقدم على الأخرى لأنها أدل على الغرض المسوق له الكلام .

يقول في قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ﴾ (النور:٤٥) : « فإن قلت : لم جاءت الأجناس الثلاثة على هذا الترتيب ؟ قلت : قدم ما هو أعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل أو قوائم ، ثم الماشي على الرجلين ، ثم الماشي على أربع »[2].

---

(١) الكشاف ٣/٢٣٨ .

(٢) المرجع السابق ٤/١٩٥ .

وقد تتقدم الجملة لأنها تدل على الأكثر عدداً كما في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (فاطر:٣٢) يقول : «فإن قلت : لم قدم الظالم؟ ثم المقتصد ثم السابق ؟ قلت : للإيذان بكثرة الفاسقين ، وغلبتهم ، وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم ، والسابقون أقل من القليل»[(١)] .

والآيات التي تتحدث عن نعم الله وتعددها قد يتقدم منها ما هو أكثر أثراً في حياة الناس المادية والروحية كما في قوله تعالى : ﴿ لِّنُحْيِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴾ (الفرقان:٤٩) يقول : «فإن قلت : لم قدم إحياء الأرض وسقي الأنعام على الأناسي ؟ قلت : لأن حياة الأناسي بحياة أرضهم وحياة أنعامهم ، فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ، ولأنهم إذا ظفروا بما يكون سُقْيا أرضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم» وكما في قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ (الرحمن:١-٥) يقول : «عدَّد الله عز وعلا آلاءه فأراد أن يقدم أول شيء ما هو أسبق قدما من ضروب آلائه وأصناف نعمائه وهي نعمة الدين ، فقدم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لأنه أعظم وحي الله رُتْبة ، وأعلاه منزلة ، وأحسنه في أبواب الدين أثراً ، وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها ، وأخر ذكر خلق الإنسان عن ذكره ثم أتبعه إياه ليعلم أنه إنما خلقه للدين وليحيط علماً بوحيه ، وكتبه ، وما خلق الإنسان من أجله ، وكأن الغرض في إنشائه كان مقدماً عليه وسابقاً له ، ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير»[(٢)].

وقد يكون ترتيب الجمل على أساس ما يعن للنفس من خواطر وأفكار فتقع الجمل مرتبة على وفق ترتيب هذه الخطرات . يقول في قوله تعالى :

---

(١) الكشاف ٤٥٨/٣ .

(٢) المرجع السابق ٣٥٣/٤ .

﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾ (النساء:١٤٧) : « فإن قلت : لم قدم الشكر على الإيمان ؟ قلت : لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرًا مبهمًا ، فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به ، ثم شكر شكرًا مفصلاً ، فكان الشكر متقدمًا على الإيمان ، وكأنه أصل التكليف ومداره »[1].

وقد يختلف ترتيب الآيات في الظاهر وهو في الحقيقة موافق لأحوال النفس وما يعرض لها في المواقف الصعبة من مشاعر وخواطر ، وللزمخشري كلام جيد في كشف تطبيق الآيات على وفق هذه الأحوال .

يقول في قوله تعالى : ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (الزمر:٥٦-٥٩) : « فإن قلت : هلا قرن الجواب بما هو جواب له ، وهو قوله ﴿ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى ﴾ ، ولم يفصل بينهما بآية ؟ قلت : لا يخلو إما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن ، وإما أن تؤخر القرينة الوسطى . فلم يحسن الأول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن ، وأما الثاني فلما فيه من النقض بين الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه ، وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب عن بعضها على ما اقتضى الجواب »[2].

وفي مواقف تهذيب النفس وإرشادها إلى طريق البر وأخذ الوسائل التي تبعد بها عن مواطن الرذيلة يلمح الزمخشري ترتيبًا يلائم طبيعة النفس ويتسق مع أحوالها حيث تتوالى الأوامر وتتصاعد حسب الأحوال والشئون .

---

(١) الكشاف ١/٤٥١ .

(٢) المرجع السابق ٤/١٠٧ .

يقول في قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ (النور: ٣٠) إلى قوله تعالى : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ (النور:٣٣) : «وما أحسن ما رتب هذه الأوامر ، حيث أمر أولا بما يعصم من الفتنة ، ويبعد عن مواقعة المعصية ، وهو غض البصر ، ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام ، ثم بالحمل على النفس الأمارة بالسوء ، وعزفها عن الطموح ، إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن يرزق القدرة عليه»[1] .

ويدرك الزمخشري أن القرآن حين يواجه النفس الإنسانية بأخطائها لائمًا معنفًا ، أو هاديًا مترفقًا ، إنما يرتب الآيات ترتيبًا حسنًا وعجيبًا فتكون كل آية كأنها ممهدة للأخرى وبساط لها ، يقول في آيات الحجرات التي يواجه القرآن فيها الصائحين برسول الله ينادونه من وراء الحجرات : «فتأمل كيف ابتدئ بإيجاب أن تكون الأمور التي تنتمي إلى الله ورسوله متقدمة على الأمور كلها من غير حصر ولا تقييد ، ثم أردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر ، كأن الأول بساط للثاني ، ووطاء لذكره . ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا أصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله ، ثم جيء على عقب ذلك بما هو أطم ، وهجنته أتم ، من الصياح برسول الله ﷺ في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر ، كما يصاح بأهون الناس قدرًا ، لينبه على فظاعة من أجروا إليه ، وجروا عليه ، لأن من رفع الله قدره على أن يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة المهاجرين والأنصار بأخى السرار ، كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ من التفاحش مبلغًا ، ومن هذا وأمثاله يقتطف ثمر الألباب ، وتقتبس محاسن الآداب»[2].

---

(١) الكشاف ١٨٨/٣ .

(٢) المرجع السابق ٢٨٤/٤، ٢٨٥ .

وحينما يكون المقام مقام مناظرات فكرية بين التوحيد والشرك يلحظ الزمخشري أفكاراً تتصاعد في هذا المجال فتبدأ بالسؤال البسيط وتنتهي بإبطال المعتقد الباطل وتحقيق الحق .

وقد وقف الزمخشري عند مناقشات إبراهيم عليه السلام لأبيه ولقومه وبين كيف رتب إبراهيم عليه السلام أفكاره ومعانيه ، يقول في قوله تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (الشعراء:٦٩-٧٤) :

« وما أحسن ما رتب إبراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولا عما يعبدون ، سؤال مقرر لا مستفهم ، ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ، ولا تنفع ، ولا تبصر ، ولا تسمع على تقليد آبائهم الأقدمين ، فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلاً أن يكون حجة ، ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها إلى ذكر الله عز وعلا فعظم شأنه وعدد نعمته من لدن خلقه وإنشائه إلى حين وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ، ثم أتبع ذلك أن دعا بدعوات المخلصين ، وابتهل إليه ابتهال الأوابين ، ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه ، وما يدفع إليه المشركون يؤمئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال ، وتمنى الكرة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا »[1] .

وفي مناصحة إبراهيم عليه السلام لأبيه ودعوته إلى التوحيد يلحظ الزمخشري ترتيب المعاني وتلاحقها كما يلحظ أسلوب الدعوة الهادئ ، والمجاملة اللينة ، والأدب الحسن ، وإن كان في أعماقه صراعًا بين الحق والباطل ، كما يناقش القضايا التي ساقها إبراهيم عليه السلام ويبين وجه قوتها

---

(١) الكشاف ٣/٢٥٣ .

ودلالتها ، وقد طالت دراسته لمعاني هذه المناصحة وترتيب أفكارها وقد أغفل المتأخرون هذا اللون من النظر في الدراسة البلاغية ، كما أغفلوا كثيراً من مباحثها ، وإذا كنا بصدد توضيح عنايته بدراسة المعاني ومناقشتها فمن الخير أن أذكر هذا النص القيم وإن طال حديثه فيه .

يقول في قوله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ۝٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴾ (مريم:٤١-٤٣) إلى آخر الآيات ..

يقول : « انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطًا فيه من الخطأ العظيم ، والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقلاء ، وانسلخ عن قضية التمييز ، ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة ، كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق ، وساقه أرشق مساق ، مع استعمال المجاملة واللطف ، والرفق ، واللين ، والأدب الجميل والخلق الحسن ، منتصحًا في ذلك بنصيحة ربه عز وعلا ... وذلك أنه طلب منه : أولا العلة في خطئه طلب منبه على تماديه ، موقظ لإفراطه وتناهيه ، لأن المعبود لو كان حيًّا مميزًا سميعًا بصيرًا مقتدرًا على الثواب والعقاب ، نافعًا ضارًّا ، إلا أنه بعض الخلق لاسْتُخِفَّ عقل من أهله للعبادة ، ووصفه بالربوبية ، ولسجل عليه بالغي المبين ، والظلم العظيم ، وإن كان أشرف الخلق وأعلاهم منزلة ، كالملائكة والنبيين ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۚ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران:٨٠) وذلك أن العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق إلا لمن له غاية الإنعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت والمثيب المعاقب الذي منه أصول النعم وفروعها فإذا وجهت إلى غيره ـ وتعالى علوًّا كبيراً أن تكون هذه الصفة لغيره ـ لم يكن إلا ظلمًا ، وعتوًّا ، وغيًّا وكفرًا ، وجحودًا ، وخروجًا عن الصحيح المنير إلى الفاسد المظلم ، فما ظنك به من وجه عبادته إلى جماد

ليس به حس ولا شعور ؟ .. ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفقًا به متلطفًا فلم يسم أباه بالجهل المفرط ، ولا نفسه بالعلم الفائق ، ولكنه قال : إن معي طائفة من العلم ، وشيئًا منه ، ليس معك ، وذلك علم الدلالة على الطريق السوي ، فلا تستنكف ، وهب أني وإياك في مسير ، وعندي معرفة بالهداية دونك ، فاتبعني أنجك من أن تضل ، ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده ، وهو عدوك الذي لا يريد بك إلا كل هلاك ، وخزي ، ونكال ، وعدو أبيك آدم وأبناء جنسك كلهم ، هو الذي ورطك في هذه الضلالة ، وأمرك بها ، وزينها لك ، فأنت إن حققت النظر عابد الشيطان ، إلا أن إبراهيم عليه السلام لإمعانه في الإخلاص ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان إلا التي تختص منها برب العزة من عصيانه ، واستكباره ، ولم يلتفت إلى ذكر معاداته لآدم وذريته ، كأن النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمره فكره وأطبق على ذهنه ، ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ، ولم يخل ذلك من حسن الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له ، وأن العذاب لاحق به . ولكنه قال : أخاف أن يمسك عذاب ، فذكر الخوف ، والمس ، ونكَّر العذاب ، وجعل ولاية الشيطان ، ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه ، أكبر من العذاب ، وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه وسماه الله تعالى المشهود له بـ «الفوز العظيم» حيث قال : ﴿ **وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ** ﴾ (التوبة:٧٢) فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله أكبر من العذاب نفسه وأعظم . وصدَّر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله : «يا أبت» توسلا إليه واستعطافًا»[1] .

وسوف نجد أثر هذا التحليل القيم في كتابي «المثل السائر» و«الطراز».

---

(١) الكشاف ١٤/٣ ، ١٥ .

تفسير الآيات :

من الواضح أن كل ما ذكرته من النظر البلاغي في كتاب الكشاف صالح لأن يكون نوعًا من تحليل البيان كله ، سواء أكان ذلك نظرًا في المفرد أو بحثًا في الجملة أو الجمل ، وسواء أكان ذلك دراسة لفنون بلاغية كالالتفات والتقديم وأكثر ما ذكرنا ، أو كان نظرًا في المعاني ، وتحليلاً لها ، وأريد هنا أن أزيد هذا الجانب بيانًا وتوضيحًا لتتبين لنا مقدرته البلاغية في ضوء شرح النص وتحليله ، وكون هذا البحث ـ أعني شرح النص ـ داخلاً في بلاغته فذلك أمر لا أعتقد أن أحدًا يخالف فيه . لأن الزمخشري نفسه ذكر في مقدمة تفسيره أن أداة المفسر الأولى هي علم البيان وعلم المعاني ، وحدد المعنى المراد من الآيات وقال : إن هذا ما يقتضيه علم المعاني كما في آية : ﴿ **لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ** ﴾ (النساء:١٧٢) .

ومن الواضح أيضًا أن هذا البحث ـ أعني « شرح النص وتفسيره ـ لا يدخل الآن دائرة البحث البلاغي إلا في حدود تحليل الأمثلة وشرحها ، وأن هذا البحث أيضًا هو أكبر وظائف النقد الأدبي ، على أن بعض الدارسين يحصر مهمة النقد في هذه الوظيفة إذ جعل الواجب الرئيسي للناقد هو العرض[1] .

والزمخشري في تفسيره للنصوص يستصحب مقاييس عرفتها الدراسة البلاغية قبله ، من ذلك أن أمارات التفوق في الأسلوب أن يكون الكلام متماسكًا أشد التماسك مرتبطًا أقوى ارتباط كأنه بناء متين يشد بعضه بعضًا .

يقول في قوله تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ** ﴾

---

(١) النقد الأدبي للأستاذ المرحوم أحمد أمين ص ٣٨٠ .

﴿ ٨٩ ﴾ ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ ﴾ (النمل:٨٧-٩٠) يقول الزمخشري : « صنع الله » : من المصادر المؤكدة كقوله : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ﴾ و﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ إلا أن مؤكده محذوف وهو الناصب لـ « يوم ينفخ » ، والمعنى ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ، ثم قال : ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ﴾ يريد الإثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال : ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ يعني أن مقابلة الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة إحكامه للأشياء وإتقانه لها وإجرائه لها على قضايا الحكمة ، إنه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك ، ثم لخص ذلك بقوله : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾ (الأنعام:١٦٠) إلى آخر الآيتين ، فانظر إلى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه ، وترتيبه ، ومكانة إضماده ، ورصانة تفسيره ، وأخذ بعضه بحجزة بعض ، كأنما أفرغ إفراغًا واحدًا ، ولأمر ما أعجز القوى ، وأخرس الشقاشق ، ونحو هذا المصدر إذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته ، والمنادى على سداده ، وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كان « ألا ترى إلى قوله : ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ﴾ ، و﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ ، و﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ﴾ ، و﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ﴾ ، بعدما وسمها بإضافتها إليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ (النمل:٨٨) ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ (البقرة:١٣٨) ، ﴿ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ (آل عمران:٩) ، ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ (الروم:٣٠) [(١)] .

وهذا الأساس الذي يشير إليه الزمخشري في كثير من المواضع قد ذكره عبد القاهر وبسط القول فيه وسماه النمط العالي والباب الأعظم وقال:« ولا ترى سلطان المزية يعظم في شيء كعظمة فيه »[(٢)]. وسبب المزية في هذا النوع غموض المسلك ودقة النظر والتأمل في الصنعة والاحتفال بصياغة القول .

---

(١) الكشاف ٣/٣٠٤ ، ٣٠٥ .

(٢) دلائل الإعجاز ص ٦٦ .

والزمخشري يذكر الأسلوب الصحيح المحكم الذي يقرر بعضه بعضًا ، يقول في قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ ﴾ (السجدة:١-٣) : « وهذا أسلوب صحيح محكم أثبت أولا أن تنزيله من رب العالمين وأن ذلك ما لا ريب فيه ، ثم أضرب عن ذلك إلى قوله : ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُ ﴾ ، لأن « أم » هي المنقطعة الكائنة بمعنى « بل » والهمزة ، إنكارًا لقوله وتعجيبًا منه لظهور أمره في عجز بلغائهم عن ثلاث آيات منه ، ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه ﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ . ونظيره أن يعلل العالم في المسألة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها أنواع الاحتراز كقول المتكلمين : النظر أول الأفعال الواجبة على الإطلاق التي لا يعرى عن وجوبها مكلف ، ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص أنه احترز من ذلك ثم يعود إلى تقرير كلامه وتمشيه »[(١)] .

ويذكر كذلك الأسلوب الخشن والغليظ ، وله إحساس دقيق بمواقع الكلمات وإصابتها ، وتفاعل صادق مع ما تحتويه . يقول في قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴾ (عبس:١٧) : « دعاء عليه وهو من أشنع دعواتهم لأن القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها ، و﴿ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴾ : تعجب من إفراطه في كفران نعمة الله ، ولا ترى أسلوبًا أغلظ منه ، ولا أخشن مسًّا ، ولا أدل على سخط ، ولا أبعد شوطًا في المذمة ، مع تقارب طرفيه ، ولا أجمع للائمة على قصر متنه »[(٢)] .

تأمل كيف وصف المعنى والمبنى والصنعة في هذه الكلمات القصار .

والزمخشري يعتمد حكم الذوق ويستجيب له ، ويقف عند هذا الحكم غير محلل ولا موضع ، ويرفض تأويل المخالفين ووجه فهمهم للكلام ، ولا حجة

---

(١) الكشاف ٤٠٩/٣ .

(٢) المرجع السابق ٥٦١/٤ .

له أحيانًا إلا الذوق، والاعتماد عليه في نظره اعتماد على أساس متين، وكأنه المرجع الذي يرجع إليه المختلفون مهما كانت درجة خلافهم: يقول في رده على أهل السنة، وجه تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء:٧٠): «ومن ارتكابهم أنهم فسروا «كثيراً» بمعنى «جميع» في هذه الآية، وخذلوا، حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم: وفضلناهم على جميع ممن خلقنا»[(١)].

ويذكر صفات للأسلوب فيها إبهام وإجمال ثم يبين ويحلل ما أبهم وما أجمل يقول في قوله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ (الحجرات:١٧): «وسياق هذه الآية فيه لطف ورشاقة وذلك أن الكائن من الأعاريب قد سماه الله إسلامًا، ونفى أن يكون كما زعموا إيمانًا، فلما منوا على رسول الله ﷺ ما كان منهم قال الله سبحانه وتعالى لرسوله عليه السلام: إن هؤلاء يعتدون عليك بما ليس جديرًا بالاعتداد به، من حدثهم الذي حق تسميته أن يقال له إسلام، فقال لهم: لا تعتدوا على إسلامكم، أي حدثكم المسمى إسلامًا عندي لا إيمانًا، ثم قال: بل الله يعتد عليكم أن أمركم بتوفيقه حيث هداكم للإيمان على ما زعمتم، وادعيتم أنكم أرشدتم إليه، ووفقتم له إن صح زعمكم، وصدقت دعواكم، إلا أنكم تزعمون وتدعون، والله عليم بخلافه، وفي إضافة الاسم إليهم وإيراد الإيمان غير مضاف ما لا يخفى على المتأمل»[(٢)].

ويوازن بين الكلام الذي يشرحه والنصوص التي تشابهه في معناه وفي غرضه ويدعو إلى النظر المتثبت في النصوص الأدبية والموازنة الدقيقة بين ما تشابه منها حتى يتسنى لنا أن نعرف أقواها في غرضها. يقول في آيات الإفك:

---

(١) الكشاف ٥٣٢/٢.

(٢) المرجع السابق ٣٠٠/٤.

« ولو فليت القرآن كله ، وفتشت عما أوعد به من العصاة لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها ، ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد ، والعتاب البليغ ، والزجر العنيف ، واستعظام ما ركب من ذلك ، واستفظاع ما أقدم عليه ، ما أنزل فيه على طرق مختلفة ، وأساليب مفتنة ، كل واحد منها كاف في بابه ، ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكفى بها ، حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعًا ، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة ، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا ، وبهتوا ، وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله ، حتى يعلموا عند ذلك أنه الحق المبين ، فأوجز في ذلك وأشبع ، وفصَّل وأجمل ، وأكد وكرر ، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ما هو دونه في الفظاعة ، وما ذاك إلا لأمر »[1] .

ويلتفت الزمخشري في تحليله إلى أهمية المقابلات بين المعاني وكيف اعتمد القرآن عليها في بث الرغبة والرهبة . يقول في قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ (البقرة:٢٥) : « من عادته عز وجل في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب ، ويشفع البشارة بالإنذار ، إرادة التنشيط لاكتساب ما يزلف ، والتثبيط عن اقتراف ما يتلف »[2] .

وحينما يتابع الزمخشري كلمات الآيات بالنظر والتحليل نرى في هذه المتابعة لونًا من الدراسة البلاغية الممتعة ، ونجد ذوقًا ، وحسا نادرين ، نرفع صاحبهما إلى درجة الأفذاذ من المتذوقين ، ولا نجد كثيرًا ممن يفضلون الزمخشري في هذا الباب مع شغفنا بتتبع هذا اللون من الدراسة وحرصنا على أن نقرأ ما نعثر عليه من تحليل النصوص تحليلاً بلاغيًّا بصيرًا ، سواء أكان هذا في شرح الدواوين والنصوص الأدبية القديمة ، أو كان عند المعاصرين ، ممن

---

(١) الكشاف ١٧٦/٣ .

(٢) المرجع السابق ٧٨/١ .

يتعرضون في أثناء دراسة النظريات النقدية إلى أنواع من التطبيق وضرب الأمثلة . أقول : إن الزمخشري من الأفذاذ المتذوقين في هذا الباب وله تحليلات ما استطاع الزمن الطويل ولا تطور الدراسات الأدبية أن يذهب شيئًا من بهائها وزهائها . وقد ترى صدق هذه الدعوى في كثير من النصوص التي أثبتناها في المواضع المختلفة وقد يكون مسبوقًا بتحليلات بلاغية لبعض الآيات القرآنية فيقع عليها ويكون جهده حينئذ تلخيصًا لما كتب، أو بسطًا له، مع إضافات يسيرة . ثم يشير إلى أنه لهذا الذي ذكر استفصح علماء البلاغة هذه الآية .

يقول في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ (مريم:٤) : « وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته . ولأنه أشد ما فيه وأصلبه فإذا وهن كان ما وراءه أوهن . ووحد لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية ، وقصده إلى هذا أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن . ولو جمع لكان قصدًا إلى معنى آخر وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها ... وشبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشَّعر وفشوه فيه ، وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ، ثم أخرجه مخرج الاستعارة . ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته . وهو الرأس . وأخرج الشيب مميزاً ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا ، فمن ثَمَّ فصحت هذه الآية وشهد لها بالبلاغة »[1] .

ولو نظرنا إلى ما كتبه عبد القاهر في هذه الآية لتبين لنا أن جزءًا كبيراً من كلام الزمخشري ليس إلا تلخيصًا لكلام عبد القاهر[2] .

---

(١) الكشاف ٣/٣ .

(٢) ينظر : دلائل الإعجاز ص ٦٩ ، ٧٠ .

ويقول الزمخشري في قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (هود:٤٤) :

« نداء للأرض والسماء بما ينادي به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات . هو قوله ﴿ يَٰٓأَرۡضُ ﴾ و﴿ وَيَٰسَمَآءُ ﴾ . ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله ﴿ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ ﴾ و﴿ أَقۡلِعِي ﴾ . من الدلالة على الاقتدار العظيم . وأن السموات والأرض وهذه الأجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلاله . وثوابه . وعقابه . وقدرته على كل مقدور . وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مَشِيئَتِهِ على الفور من غير ريث ، فكلما يرد عليهم أمره كان المأمور به مفعولاً لا حبس ولا إبطاء . والبلع عبارة عن النشف والإقلاع والإمساك . يقال : أقلع المطر ، وأقلعت الحمى . وغيض الماء ـ من غاضه ـ إذا نقصه . وقضي الأمر وأنجز ما وعد نوحًا من هلاك قومه واستوت واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل ... ومجيء إخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلالة والكبرياء وأن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر . وتكوين مكوِّن قاهر . وأن فاعلها فاعل واحد لا يشارك في أفعاله . فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره : ﴿ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي ﴾ (هود:٤٤) . ولا أن يقضى ذلك الأمر الهائل غيره . ولا أن تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه إلا بتسويته وإقراره . ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية . أو رقصوا لها رءوسهم . لا لتجانس الكلمتين وهما ﴿ ٱبۡلَعِي ﴾ و﴿ أَقۡلِعِي ﴾ وذلك وإن كان

لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت إليه بإزاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور»[1].

ولو نظرنا أيضًا إلى ما قاله عبد القاهر في هذه الآية ، لوجدنا ما ذكره الزمخشري بسطًا وتفصيلاً لما ذكر عبد القاهر[2].

* * *

(١) الكشاف ٢/٣١١ .

(٢) ينظر دلائل الإعجاز ص ٣٢ ، ٣٣ .